

قواعد أساسية في العلاج بالقرآن الكريم والإعجاز الطبي

أ. بن عبد الله وسيني

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الآداب واللغة

جامعة المسيلة

مقدمة:

لقد كانت نظرة الناس إلى القرآن الكريم مختلفة ومغايرة؛ فمنهم من حصر القرآن الكريم في الصلاة والذكر فقط، ومنهم من تجاوز هذا الدور للقرآن الكريم إلى حد الإفراط؛ فجعل كل كبيرة وصغيرة موجودة في القرآن الكريم، وإن كانت النظرة الثانية صحيحة إلا أنه يشوبها نوع من التعميم الذي مرفوض في كثير من الأحيان.

وبين النظرتين نظرة التفريط في جوانب أتى بها القرآن ونظرة الإفراط في حصر كل شيء فيه، هناك نظرة التوازن والاعتدال التي هي شيمة الإسلام وشيمة أصحاب الفطرة السليمة والعقول الصحيحة.

والتوازن في هذه القضية أن نثبت الأدوار والأهداف التي ذكرها القرآن نفسه أو جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أو ذكرها العلماء في حق القرآن الكريم.

من هذه المقدمة جاءت بحثي والذي هي تأصيل نوعا ما لقضية من القضايا التي كثيرا ما سمعنا عليها وأخبرنا عنها في حياتنا اليومية وهي قضية العلاج في القرآن الكريم. وسأنتطرق إن شاء الله إلى بعض

المنطلقات الأساسية والقواعد في هذا المجال، هي بمثابة الأرضية في معالجة قضية العلاج في القرآن الكريم.

تعريف القرآن الكريم :

قبل الحديث عن هذه المنطلقات والقواعد الأساسية التي من شأنها تتيير طريق العلاج بالقرآن الكريم، رأيت من المعين على ذلك أن أعرف القرآن الكريم.

لقد عرّف القرآن الكريم منزلة كبيرة بين أصناف العلماء والدارسين، في جل المجالات العلمية والأدبية واللغوية وغيرها، وسأحاول - إن شاء الله - أن أفردّها بالتعريف.

لغة:

المشهور بين علماء اللغة أن لفظ القرآن في الأصل مصدر مشتق من قرأ، يقال قرأ قراءة وقرآنًا¹؛ فهو مصدر مرادف للقراءة ويشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾².

وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا، وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه، ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن الكريم، وعلى كل آية من آياته³، فقد يطلق لفظ القرآن على جميعه وعلى بعضه وقد تسمى الكتب القديمة قرآناً⁴.

اصطلاحاً:

للقرآن الكريم تعريفات كثيرة، وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن الكريم. إلا أن التعريف الجامع و المانع له يكمن في قولهم: "القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز، المنزل على

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة جبريل عليه السلام بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته⁵.

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل: المتحدى بأقصر سورة منه، أو المكتوب بين دفتي المصحف، أو المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس⁶.

والواقع أن التعريف الذي ذكرناه آنفاً تعريف جامع مانع لا يحتاج إلى زيادة قيد آخر، وكل من زاد عليه قيداً أو قيوداً مما ذكرناه لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن الكريم التي يتميز بها عما سواه.

القرآن كتاب هداية:

في البداية أشير إلى أن القرآن الكريم كتب هداية وإعجاز، أنزله الله لهداية الناس كافة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁷. وقال في آية أخرى ﴿ثُمَّ تَكَلِّمُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾⁸.

والجن لما سمعت القرآن الكريم هرعت لقومها وهي تقول: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁹.

فالقرآن الكريم أنزله الله لهداية الناس إلى الإسلام، إلى الدين القويم، إلى الأخلاق الفاضلة، إلى المعاملة الحسنة...

هذا الهدف الأساسي ولكن وجد في القرآن الكريم عدة أدوار لا حصر لها من الناحية التشريعية أو السياسية أو الاقتصادية أو العلمية أو اللغوية أو الأدبية أو الطبية.... وغيرها

جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن ما نصه¹⁰: "وقد احتوى-
أي القرآن- على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة
والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك؛ أما الطب فمداره على
حفظ نظام الصحة واستحكام القوة، وذلك إنما باعتدال المزاج بتفاعل
الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾¹¹، وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث
الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
لِلنَّاسِ﴾¹².

كما أن القرآن الكريم يدعونا إلى أن نبحث في مكنونات هذا
الكون الذي خلق الله تسخييرا للإنسان، بل وفي الإنسان نفسه قال تعالى:
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾¹³.
القرآن الكريم جاء لسبر أغوار النفس البشرية:

جاء القرآن كذلك لسبر أغوار هذه النفس وليبين ما فيها من مزايا
فقد تطرق القرآن الكريم إلى ذكر جميع خصال الإنسان الجسدية أو
الروحية أو العقلية، فبين القرآن الكريم أن الإنسان ضعيف وأنه جهول
وأنه عجول قال الله: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾¹⁴ وقال في آية أخرى: ﴿وَكَانَ
الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾¹⁵، وقال فيه كذلك: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾¹⁶. ﴿إِنَّ
الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾¹⁷.

نحن نتعجب من صنع البشر للآلات والأجهزة وطائرة البوينغ، مثلاً،
مع أن الذي صنعها بشر، ولا نتعجب من هذا الإنسان وما فيه من أجهزة
وآلات تبهر العقول.

داؤك فيك وما تشعر دواؤك منك وما تبصر

وتحسب نفسك جرماً صغيراً وانطوى فيك العالم الأكبر

والعلم الحديث يثبت عظمة هذا الإنسان؛ وكيف أن القلب مثلاً ببقوته الفيزيائية يشبه آلة الضخ للمياه أو غيرها التي تضخ المياه إلى عشرات الأمتار.

الإنسان فطر على المحافظة على صحته
الإنسان فطر على المحافظة على جسمه وعلى المحافظة على صحته
وعلى حماية نفسه من كل المخاطر التي يتعرض لها.
فإذا مرض الإنسان تجده يهرع إلى الطبيب، وهذا ليس عيباً وإنما هي فطرة في الإنسان.

لكل داء دواء

لم يجعل الله مرضاً دون علاج إلى الموت، أو الهرم لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تداووا فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وضع له دواء إلا الهرم»¹⁸.

كان بقدرور الله، وهو القادر والمقتدر، أن لا نصاب بأي مرض. ولكن لحكمة بالغة بالغة أرادها الله أن نصاب بالمرض والمشاكل والمصائب. وأن الإنسان سريع المرض والعطب للتدليل على ذلك سأحدث عن العقرب الذي هو من فصيلة العنكبوت فيه من الأمور العجيب العجيب.

وأبدأ بقول أحد العلماء كمقدمة لذلك: "أقامت فرنسا تفجيراً نووياً قبل 35 سنة في صحراء الجزائر (رقان)، والضغط الذي ولده هذا الانفجار يسحق كل شيء، يعني إذا قلنا انفجاراً نووياً ينبغي أن لا يبقى كائن حي كائن من كان، طبعاً، هذا الانفجار لا يبقي نباتاً ولا حيواناً ولا إنسان، هذا الانفجار أحدث حفرة كبيرة، وشكل كرة من النار

تعلو لمسافات طويلة، وبعد نهاية الانفجار وسكون الأرض، وجدوا عقربا يمشي في أرض الانفجار، شيء مدهش شيء لا يتخيله عقل الإنسان. لذلك عكف علماء الحيوان ربع قرن لدراسة هذا الحيوان فوجدوا أن العقرب يستطيع أن يعيش دون طعام ولا شراب ثلاث سنوات متتالية، ووجدوا أن العقرب يستطيع أن يكتم أنفاسه تحت الماء يومين كاملين، ووجدوا أنه إذا وضع في ثلاجة من عشرة إلى عشرين تحت الصفر، ونقل إلى رمل الصحراء المحرق 60 درجة مئوية فإنه يتكيف مع هذا التغير الطارئ، ثم إذا وضع في حمام من الجراثيم المروعة لا يتأثر كأنه في حمام بارد ثم، إنهم عرضوه لأشعة نووية 300 ضعف ما يتحملة الإنسان فتحملها.

شرحوه فلم يجدوا فيه دما؛ بل فيه مصل أصفر، هذا بالمقارنة مع الإنسان يدل على إن الإنسان سريع العطب، ورب العالمين قادر على إن يخلقه لا يمرض لكن لكي يعلم حاجته لله سبحانه الخلاق العظيم. فكان المرض والمصائب تدعوا الإنسان إلى التفكير في الله عز وجل، إلى دعائه إلى رجائه وهذه حكمة من الحكم العظيمة التي تجعل الإنسان يصاب بالمرض.

ما حرّمه الله في القرآن الكريم من مأكولات إنما هو مضرة للعباد لا عقابا لهم:

نحن المسلمون نعتقد اعتقادا جازما أن الله ما حرم إلى خبيثا وما أحل إلى طيبا وأن الله لم يأمرنا أو ينهانا عن شيء إلا لحكمة ومصلحة لنا، علمه من علمها وجهلها من جهلنا.

يقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ

السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾

ومعلوم أن هذه الآية كانت آخر من نزل من القرآن، لماذا حرم الله

لحم الخنزير ولحم المنخنقة وغيرها؟

ولنتحدث مثلاً عن لحم الخنزير. وما هي علة تحريمه من الناحية

الطبية؟

لحم الخنزير الذي اختلف الكثيرون في علة تحريمه، يثبت العلم الحديث إثباتاً قاطعاً أن الخنزير يتسبب في إصابة الإنسان بكثير من الأمراض منها مرض الشعرية أو الترخينية.

وتسببه ديدان تعيش في لحم الخنزير، وهذه الديدان تستقر في عضلات آكل لحم الخنزير، وعلى الأخص عضلات التنفس، كذلك تستقر تلك الديدان في الأعضاء الحيوية من الجسم: كالمخ والعين والقلب والرئة والكبد، فإذا كانت في المخ أحدثت الجنون أو الشلل واضطراب الشخصية، وإذا وصلت إلى العين أصابتها بالعمى، وإذا وصلت إلى جدار القلب أحدثت هبوطاً في القلب، أو ذبحة قلبية... وعدد المصابين بهذا المرض في أمريكا 47 مليوناً، وتبلغ نسبة الموت بهذا المرض 30%

كما ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر، ولهذا الحقيقة أهمية خطيرة؛ لأن هذه الدهون تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين، ولاسيما شرايين القلب، وتسبب تصلب

الشرايين وارتفاع الضغط، وهو السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية.

وقد جاء في الموسوعة الأمريكية أن كل مائة رطل من لحم الخنزير يحتوى على خمسين رطلا من الدهن، أي بنسبة 50 %، في حين أن الدهن في الضأن يمثل 17% فقط وفي العجول لا يزيد عن خمسة في المائة.

وخلاصة القول أن الأبحاث العلمية قررت الأضرار البالغة لأكل لحم الخنزير، وهذا ما تكفل الإسلام والقرآن الكريم بالتنبيه عنه منذ خمسة عشر قرناً من الزمان، حينما حرم أكل الخنزير، تاركاً للعلم عبر القرون أن يؤكد ويثبت صدق رؤية الإسلام وأسبقيته، علماً بأن ما تم كشفه من بلايا الخنزير حتى الآن قام بها غير المسلمين، وهذا ما يكفى للتدليل على الإعجاز في القرآن الكريم

القرآن الكريم يتبع أسلوب الوقاية قبل العلاج

هناك الحكمة الطبية التي تقول الوقاية خير من العلاج، أو درهم وقاية خير من قنطار علاج، وجاءت آيات عديدة في هذا المجال سواء في الأمراض النفسية أو في الأمراض الحسية، من ذلك قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ﴾²⁰.

ولعل هذه الميزة انفرد بها القرآن الكريم أو الإسلام عن غيره من القوانين الوضعية الأخرى؛ فمثلاً حد الخمر في القرآن الكريم نجد القرآن الكريم يبين خطره ثم يحذر من شربه لأنه رجس ثم يسلط العقوبة عن شاربيها. بينما القانون الوضعي يجرم السكران بعد الشرب أو أثناءه.

القرآن الكريم والإعجاز الطبي هناك حقائق طبية مذهشة وصل إليها العلماء والأطباء في العصر الحديث قررها القرآن الكريم منذ 14 قرناً، وسأدلل على ذلك ببعض الآيات القرآنية:.

1- القرآن الكريم والأعشاب الطبية

وردت في القرآن الكريم، بعض الأعشاب التي تصنف تحت باب التوابل منها: الزنجبيل المسك الكافور لها أهمية في العلاج.

وسأتحدث عن الزنجبيل وما له من أهمية في ذلك

وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾²¹. جاء في تفسير هذه الآية: "أي ويسقون يعني الأبرار أيضاً في هذه الأكواب خمراً فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر"²²..

أحد الباحثين قرأ كل ما كتب عن الزنجبيل في كتب الطب القديمة، وقرأ سبعة بحوثٍ علميةٍ صدرت عن مراكز علمية محترمة جداً في العالم، ولها وزنها وقد أشار في مقالته إلى أسماء البحوث التي صدرت حول هذه المادة، فكان الشيء الذي لا يصدق.

الزنجبيل كما ورد في كتب الطب القديمة، مسخنٌ للجسم، معينٌ على الهضم، ملينٌ للبطن، مطهرٌ ومقوي، ينفع الزنجبيل في التهاب الحنجرة والرشح، ومسكنٌ قويٌ لالتهاب المفاصل، ومسكنٌ قويٌ للمغص المعوي، ومضادٌ للغثيان، خلاصته المائية دواءٌ جيدٌ لأمراض العين.. هذا ورد في الكتب القديمة²³.

فماذا ورد في الكتب الحديثة ؟ في الأبحاث الحديثة التي أجراها علماء لا يعرفون أن هذه المادة وردت في القرآن الكريم .. ماذا قالوا ؟

قالوا: الزنجبيل موسّع للأوعية، منعش للقلب والتنفس، مقوي لتقلص عضلة القلب ... أي أنه مماثل تماماً لمادة للديكوكسين .. يمنع تجمع الصفائح الدموية .. إذاً هو مميع للدم؛ يفيد في أمراض الجلطات الدماغية، والقلبية، وخثرات الأطراف، يخفّض من ارتفاع الضغط الدموي، وخافض للكوليسترول .

لماذا ورد هذا العنصر في القرآن الكريم ؟ أله كل هذه الميزات ؟ لا شك، أن له علاقة بالإنسان.

الآن أدوية القلب أدوية موسعة للشرايين، أدوية مقوية لنبض القلب، أدوية خافضة للضغط، أدوية خافضة للكوليسترول، كل هذه الميزات موجودة في الزنجبيل، ودائماً الدواء الكيميائي له منافع ومضار معاً، بينما الدواء النباتي كله منافع، لأنه من صنع الحكيم الخبير.

لو التفت الأطباء إلى تقصّي العناصر التي وردت في القرآن الكريم لوجدوا عجباً، وهذا يدل أن في القرآن الكريم كنوزاً لا نعرف مقدارها إلا أن نبحث، وأن ندرس.

فأن يكون هذا العنصر في الوقت نفسه موسّع للشرايين والأوردة، مقوي لعضلة القلب، خافض للكوليسترول، خافض للضغط، مميع للدم، ثم إنه يؤثّر تأثيراً إيجابياً في التهاب المفاصل، مضاد للبروستات، مضاد للسعال.. أي أشياء كثيرة جداً .

أحد العلماء ذكر علة احتواء خمر الجنة على الزنجبيل، وقال لو لم يصب الإنسان بأي مرض لمات بتصلب الشرايين، ولا يزال الإنسان على قيد الحياة ما لم تتصلب شرايينهن فإذا تصلبت مات، والزنجبيل مضاد لتصلب الشرايين، فيقول هذا العالم لعل خلود الإنسان في الجنة مرده إلى تناوله الزنجبيل. والله اعلم

فهذا الكون فيه كلُّ شيء، وأفضل دواء ما كان نباتياً ليس له تأثيرات جانبية، أكثر الأدوية التي نأخذها أدويةً كيميائية تنفع من جهة، وتفسد من جهةٍ أخرى، ولو درسنا الأعشاب دراسةً مستفيضةً علميةً لوجدنا فيها العلاج لكثير من الأمراض.

والحديث عن الزنجبيل يجرنا إلى الحديث عن الحبة السوداء، وظهرت أشياء لا يصدّقها العقل في هذا النوع من التوابل، فعن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام والسمام الموت»²⁴.

الحبة السوداء .. ثم اكتشف أنه يقوي جهاز المناعة في الجسم، ومتمى قوي جهاز المناعة قوي على كل الأمراض التي تبتاح الجسم، فالذي ذكره النبي عن الحبة السوداء، وعن العسل، وما ذكره القرآن عن الزنجبيل، هذا كله مما يلفت النظر.

1. القرآن الكريم وشجرة الزيتون

قد ذكر اسم الزيتون في أكثر من سورة في القرآن الكريم، ففي سورة الأنعام في الآية 99 يقول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾²⁵.

إن الاستخدام الطبي لأوراق الزيتون كان في الماضي في علاج الحمى والجروح والإصابات المرضية. وككمدات لعلاج الطفح الجلدي والحروق.

كذلك إن لأوراق الزيتون العديد من المكونات والتي تشمل المكون الرئيسي وهو زيت الأوليوريين، والأبقنين، واليزتولين، بينما نجد أن أوراق الزيتون مرتبطة تقليدياً بالعديد من الممارسات الطبية والعلاجية

إلا أن القليل من تلك الممارسات تم التثبت من صحتها بالدراسات التجريبية .

وهذه المقدرة على خفض ضغط الدم تبرر استعمال أوراق الزيتون كعلاج يقوم بخفض ارتفاع ضغط الدم وجعله معتدلا مع مرونة انسياب الدم في الشرايين.

ويستعمل زيت الزيتون مع الحالات التالية : مكافحة الإصابة بالأمراض المختلفة، مفيد لعلاج مرضى السكري، مفيد لحالات ارتفاع ضغط الدم، لخفض مستوى الكوليسترول المرتفع في الدم، بالإضافة لذلك فقد كشفت دراسة أن الأوليوريين الموجود في زيت الزيتون، يمنع أكسدة البروتين الدهني المنخفض (LDL) أو الكوليسترول الضار. وهذه الحقائق مع بعضها تدعم أساسا محتملا وهو أن المستخدمين لنظام الأكل المتبع في البحر الأبيض المتوسط يقللون كثيرا من مخاطر تطور أمراض تصلب الشرايين لديهم بتناولهم لزيت الزيتون .

2. القرآن الكريم والعمل:

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾²⁶

وفي قوله تعالى كلي من الثمرات أمر في منتهى الأهمية وهو أن الله أوحى إلى النحل أن تأكل من كل الثمرات ولا تأكل التبغ ولا الحشيش أو الكوكايين.

كذلك في قوله شفاء للناس فالعسل شفاء للناس كافة أما عن القرآن فقد ذكر الله أنه شفاء فقط للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾²⁷.

لملاحظ على هذه الآية أن كلمة شفاء جاءت نكرة، وهذه الصفة تدل أنه دواء من الأدوية كما يوصف أي عقار من العقاقير في الصيدليات والمعنى القرآني دقيق جدا في المدلول اللغوي، فالنكرة هنا تفتح المجال للاستشفاء بغيره حسب الحالة المرضية وأما الشفاء بزيادة الألف واللام فهو مدلول معرفي لا يتم العلاج إلا به وهذا ما لم يذكره القرآن الكريم وبرغم هذا التوضيح فإن العسل يكاد أن يكون صيدلية وافية تغني عن العشرات من العقاقير فهو خلاصة رحيق الأزهار والتي هي بالأصل جاءت من الأزهار وأعشابها والتي تعتبر علاجا لكثير من الأمراض وتدخل في تركيب الكثير من الأدوية التي تحضر في المعامل الكيميائية فالعسل خلاصة لكل العلاجات التي تؤخذ من الزهور والأعشاب.

وثبت أن العسل لا تعيش فيه الجراثيم ولا يفسده الزمان ولا يطرأ عليه أدنى تحول إلا ميل لونه إلى السواد.

القرآن الكريم والتمر:

قال الله تعالى في سورة مريم: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾²⁸.

أثبت العلم الحديث منافع كثيرة للتمر، لا يتسع الوقت للحديث عنها، منها ما يتعلق بالطلق وعسر الولادة وغيرهما. فسبحان الله العظيم.

3. القرآن الكريم والعلاج النفسي

تأملوا قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لُونُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾²⁹.

هذه الآية في سياق إخبار الله تعالى عن قصة موسى مع بني إسرائيل يقول أحد المفسرين في تفسيره: "أما قوله تعالى تَسْرُ النَّاطِرِينَ فالمعنى أن هذه البقرة لحسن لونها تسر من نظر إليها قال الحسن الصفراء ههنا بمعنى السوداء لأن العرب تسمي الأسود أصفر نظيره قوله تعالى في صفة الدخان ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾"³⁰، أي سود...

وأما السرور فإنه حالة نفسانية تعرض عند حصول اعتقاد أو علم أو ظن بحصول شيء لذيذ أو نافع.

وصفراء فاقع لونها شديدة الصفرة، يقال أصفر فاقع، وأسود حالك، وأحمر قانئ وأخضر ناضر، وأبيض بقق للمبالغة.

ولكن الشيء العجيب فيها ما قررته بعض الأبحاث المعاصرة. وهي أن النظر إلى اللون الأصفر يولد السرور والاطمئنان والراحة، لذلك قال العلماء: إذا نظرت إلى خضرة بعد صفرة وجدت نفسك مسرورا. ونجد هذا إذا نظرنا إلى المروج وإلى البساتين الفيحاء.

وهذا القول له ما يؤيده من ذلك قول علي رضي الله عنه: من لبس نعلا صفراء قل همه، لقوله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لُونُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾³¹. وعن ابن عباس قال من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها وذلك قوله ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لُونُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾³²..

فلم لا نجعل في بيوتنا ومؤسساتنا ومستشفياتنا والمراكز الطبية مساحات فيها أنواعا من الزهور الصفراء حتى تساهم في العلاج النفسي للمرضى.

وفي الأخير أقول يندهش كل من يتدبر القرآن الكريم بقلب مفتوح على الحقيقة والمعرفة قال الله تعالى ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾³³.

ولا غرابة ولا عجب أن نجد في القرآن الكريم إعجازا علميا طبيًا فهو تبياننا لكل شيء، يهدي للتي هي أقوم، لصلاح الروح والجسد معاً، وصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والأمة إجمالاً.

والقارئ المتمعن في القرآن الكريم يجد فيه ما يهديه وما يفيد به لكافة جوانب الصحة البدنية والنفسية، فأصل الإنسان الذي بدأ الله خلقه من طين، وهو التراب والماء، ونفخ الله سبحانه فيه الروح جاعلاً إياه يتنفس ويتحرك ويدرك. فهو بهذه الصفات لا يستطيع الإنسان الإفلات من أصله المادي أو الإفلات من أصله الروحي، فإن حياته واستدامتها وراحته توجب عليه الرجوع إلى الأصل، وذلك بالاستزادة من أصله المادي وهو الأكل والشرب، والذي مصدره التراب والماء، وكذلك الاستزادة من توجيهات خالقه مصدره الروحي.

وهدي القرآن في الصحة البدنية والنفسية والعلاجية كلها إعجاز وسبق علمي للقرآن الكريم.

وأختم بقول البوصيري في القرآن الكريم في برده الشهيرة

مُحَكَّمَاتُ فَمَا تَبْقِينَ مِنْ شَبْهِ لَذِي شَقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكْمٍ
مَا حُورِيَتْ قَطُّ إِلَّا غَادَ مِنْ حَرْبٍ أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ
رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرْمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقَلَّتْ لَهُ لَقَدْ ظَفِرَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ
كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تُبَيِّضُ الْوُجُوهَ بِهِ مِنْ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحُمَمِ
وَأَذْنُ لِسُحْبٍ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ بِمَنْهَلٍ وَمَنْسَجَمِ

الهوامش

- 1- ينظر: ابن منظور- لسان العرب - مادة: قرأ- ج: 1 - ص: 128، ومحمد الرازي- مختار الصحاح- ج: 1 ص: 130.
- 2- سورة القيامة - الآيتان: 17- 18.
- 3- د.عبد المحمود مطلوب - مباحث في علوم القرآن والحديث - مصر- القاهرة- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - ط: 1- 1425هـ/2004م - ص: 7.
- 4- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان)- لجزائر- الشركة الجزائرية اللبنانية- ط: 1- 1427هـ/2006م - ص: 60.
- 5- ينظر: عبد الرحمن السيوطي- شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع- تحقيق: د.محمد إبراهيم الحفناوي- مصر- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- ط: 1- 1426هـ/2005م - ج: 1- ص: 143.
- 6- ينظر: د.عبد المحمود مطلوب - مباحث في علوم القرآن والحديث ص: 8 / 7 .
- 7- سورة الإسراء - الآيتان: 9.

- 8- سورة الزمر- الآيتان: 23.
- 9- سورة الأحقاف- الآيتان: 30.
- 10- عبد الرحمن السيوطي- الإتيان في علوم القرآن- ج:2- ص:334.
- 11- سورة الفرقان- الآيتان: 67.
- 12- سورة النحل- الآيتان: 69.
- 13- سورة فصلت- الآيتان: 57.
- 14- سورة النساء- الآيتان: 28.
- 15- سورة الإسراء- الآيتان: 11.
- 16- سورة إبراهيم- الآيتان: 34.
- 17- سورة المعرج- الآيتان: 19.
- 18- محمد بن عبد الواحد الحنبلي- الأحاديث المختارة- ج:4- ص:169.
- 19- سورة المائدة- الآية: 3.
- 20- سورة الأنعام- الآية: 151.
- 21- سورة الإنسان- الآية: 18/17.
- 22- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج:4، ص: 475.
- 23- محمد بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي، ص: 246.
- 24- الترمذي، سنن الترمذي، ج:4، ص: 385.
- 25 سورة الأنعام- الآية: 99.
- 26- سورة النحل- الآية: 68/69.
- 27- سورة الإسراء- الآية: 82.
- 28- سورة مريم- الآية: 22/26.
- 29- سورة البقرة- الآية: 69.
- 30- سورة المرسلات- الآية: 33.
- 31- سورة البقرة- الآية: 69.
- 32- سورة البقرة- الآية: 69.
- 33- سورة سبا- الآية: 6.

